

في
النور الإسلام

٢٤»

الحضارات العالمية
تدافع؟ .. أم صراع؟؟

تأليف

د. محمد حمارة

في التنوير الإسلامي

٢٤

الحضارات العالمية تدافع؟ .. أم صراع؟

تأليف

د. محمد كمارة



اسم الكتاب:

الحضارات العالمية تدافع ؟ .. أم صراع ٩٩

اسم المؤلف:

د / محمد عماره

تاريخ النشر:

ديسمبر ١٩٩٨ م . (طبعة أولى)

رقم الإيداع:

١٥٢٢٢ / ١٩٩٨ م

الرقم الدولي:

I. S. B. N 977 - 14 - 0869 - 0

الناشر:

دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

المؤذن الرئيس:

٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة

مدينت السادس من أكتوبر:

مدينة السادس من أكتوبر

مركز التوزيع:

٢٢٠٢٨٧ / ١١ (١٠ خطوط)

الناشر:

فاكس: ٢٢٠٢٩٦ / ١١

١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة

ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٩٨٩٥ . ٤/٥٩٠٨٨٩٥

مركز التوزيع:

٩٦ ص.ب: ٢٣٩٥ / ٥٩٠٢٣٩٥ فاكس:

الناشر:

٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة

ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٦٦٢٨٦٤ . ٢/٣٤٦٦٤٣٤

إمبابية:

٢٠ ص.ب: ٣٤٦٢٥٧٦ فاكس:

الرواية الإسلامية

بعد سقوط المنظومة الماركسية ومعسكرها وأحزابها وحكوماتها سنة ١٩٩١م ، وزوال «الشقاق الاجتماعي» الذي استمر داخل الحضارة الغربية لأكثر من سبعين عاما - الشقاق بين «الليبرالية - الرأسمالية» و «الشمولية - الشيوعية» - أعلنت الليبرالية الغربية عن انتصارها «التاريخي» لا في إطار حضارتها الغربية فقط ، وإنما مدعية عالمية - بل وأبدية - هذا الانتصار ... وكان كتاب «فوكرياما» الأمريكي الجنسي ، الياباني الأصل - (نهاية التاريخ) الإعلان عن دعوى وادعاء هذا الانتصار ..

ولقد حظى هذا الكتاب الصغير في وطن العروبة وعالم الإسلام باهتمام كبير ، ونقد كثير ، ورفض شديد ! .. وقبل أن تهدأ عاصفة (نهاية التاريخ) أثار الكاتب الأمريكي - اليهودي الديانة - «صامويل ب. هانتنجهتون» عاصفة أشد ، بدراسه عن (صراع الحضارات) .. وهى الدراسة التي استقبلت فى شرقنا العربى والإسلامى - أيضا - باهتمام كبير ، ونقد كثير ، ورفض شديد ! .. وعلى خلاف هذا الاستقبال الغاضب والرافض ، الذى استقبلت به هاتان الدراسات .. فلقد كان الأولى - فى تقديرى - أن تتأملهما جيدا ، وأن ننظر إليهما باعتبارهما إعلانا صريحا وصادقا عن «واقع موقف» الحضارة الغربية من الأمم والقوميات والحضارات غير الغربية ، و«واقع موقف» الليبرالية الرأسمالية من الفلسفات والمذاهب الاجتماعية الأخرى .. ومن ثم كان

عليينا أن نشكر «فوكومايا» ، و «سامويل هانتنجهتون» على الصدق في إعلان حقيقة واقع الموقف الغربي من «الآخرين» .. كل الآخرين .

ف «فوكوماما» أراد أن يعلن - في لحظة صدق ، عبرت عن «واقع موقف» الحضارة الغربية - أن سقوط الشيوعية يعني : السيادة الأبدية للبيبرالية الرأسمالية الغربية - ومن ثم لنظامها «العالمي» الجديد ، على كل المذاهب والفلسفات الاجتماعية ، وعبر كل القارات والأمم والحضارات .. وإلى الأبد ! ..

وكان مفترضا - وواجبا - أن نولي الاهتمام ، ونقدم الشكر ، لمن يصارحنا بحقيقة موقف الغرب من المذاهب والأيديولوجيات والحضارات غير الغربية .. فمن يصارحنا بحقيقة موقفه منا أولى بتقديرنا وشكرينا - حتى ولو كان عدوا لنا - من أهل الفواية والمراوغة ، الذين يقدمون «الفكر» في ثياب «الدبلوماسية» ويتحدون عن «حوار الحضارات» في ذات الوقت الذي يجتاحون فيه كل مقومات ذاتيتنا الحضارية ، من الثقافة - إلى القيم .. إلى الاقتصاد .. وحتى السيادة الوطنية .. وحق تقرير المصير ..

ولقد تابعت الكثير مما كتب عن دراسة «هانتنجهتون» حول (صراع الحضارات) .. ووجدت - في كثير من هذا الذي كتب عنه - رفض الذين كانوا يتمسكون لو أن الرجل لم يعلن حقيقة الموقف الغربي من الحضارات غير الغربية !! ..

لقد نظر الكثيرون إلى حديث «هانتنجهتون» عن :

- أن الصراع القادم هو صراع حضارات ، تمايز بينها وتحدد أوطانها وحدودها «الثقافات» ..
- وأن أشد وقائع هذا الصراع قائم بين الحضارة الغربية وبين الحضارة الإسلامية ، والحضارة الصينية ..
- وأن على الغرب أن «يُحيد» الحضارات الأخرى ، حتى يصرع الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية ، ثم يستدير ليحتوى تلك الحضارات التي «حيدها» ! ..

لقد نظر الكثيرون إلى حديث «هانتنجهتون» هذا باعتباره «رأياً» فانتقدوه .. بينما الرجل يتحدث عن «واقع موقف» الحضارة الغربية - التاريخي - في هذا الميدان .. وعن تصاعد حدة «واقع» هذا الموقف ، بعد سقوط الشيوعية ، وفراغ الليبرالية الرأسمالية الغربية من نزيف الشقاق والانشقاق الاجتماعي الداخلي ، الأمر الذي أعاد الوحدة الاجتماعية - على أرض الليبرالية - لكل دول وقوميات الحضارة الغربية ، وزاد من قوتها قيضتها في مواجهة «الآخرين» ! ..

فللرجل فضل الإعلان عن «واقع الموقف» الغربي .. وكان أولى بنا أن ننظر إلى دراسته بهذا المنظار ، ولو أننا نظرنا - حتى النطرة العجلية - إلى «واقع» علاقة الحضارة الغربية - تاريخيا - بغيرها من الحضارات ، لوجدنا أن هذا «الواقع - التاريخي» قد جسد هذا الذي تحدث عنه «هانتنجهتون» في تاريخ من الصراعات والهيمنة والغطرسة والاستعمار والاستغلال .. منذ غزو الإسكندر الأكبر (٣٢٤ - ٣٥٦ ق.م) - الذي أخضعت الشرق للإغريق والرومان ،

حتى أزاحتها الفتوحات الإسلامية ، بعد عشرة قرون ! .. وعبر الغزو الصليبية ، التي جاءت ل تستعيد الهيمنة على الشرق ، ودامت حملاتها قرنين من الزمان (٤٨٩ - ١٠٩٦ هـ ١٢٩١ م) .. ووصولا إلى الغزو الحديثة ، التي بدأت الالتفاف حول العالم الإسلامي فور سقوط «غرناطة» ، واقتلاع الإسلام وحضارته من غرب أوروبا - في الأندلس - (٨٩٧ هـ ١٤٩٢ م) .. ثم ثنت بغزو قلب العالم الإسلامي - مصر والشام - بحملة يونايرت (١٧٦٩ - ١٨٢١ م) على مصر (١٢١٣ هـ ١٧٩٨ م) .. وهي الغزوة التي لا زال المسلمون يعالجون جراحها وأثارها حتى كتابة هذه السطور ! .. وحتى الحديث عن إفصاح «هانتجتون» عن حقيقة موقف الغرب من هذا الصراع ..

وغير هذا «الواقع التاريخي» الذي جسد «النزعية الصراعية» للحضارة الغربية إزاء غيرها من الحضارات ، وإزاء الحضارة الإسلامية على وجه الخصوص .. هناك الكتابات التي قد تعر على الخصر ، والتي تتحدث عن «المركزية الغربية» التي جعلت وتحجعل الحضارة الغربية نزاعية إلى احتواء الآخر ، وترويضه ودمجه في نعطها الحضاري ومنظومتها القيمية .. وهي النزعية التي اعتمدت طريق «الصراع» في العلاقة بالآخرين ، بل وجعلت من هذا الصراع مع الآخرين ، ومن احتواهم ، وإلغاء ذاتيتهم وخصوصيتهم وهوبيتهم وتقيزهم ، جعلت من ذلك كله «رسالتها الحضارية النبيلة!» التي تقوم بها لتمدين هؤلاء الآخرين !!

ولقد ساعدت النظريات الثلاث ، التي زُكِّت وأثمرت هذه «النزعـة الصراعـية» في البنـية الفـكريـة للـحضـارة الغـربـية ..

١ - الهـيـجلـية - نـسـبة إـلـى «هـيـجلـ» Hegel (١٧٧٠ - ١٨٣١م) فـي فـلـسـفة التـارـيخ .. وـهـى التـى قـامـت عـلـى نـسـخـة العـصـرـ الجـديـدـ للـعـصـرـ القـدـيمـ ، عـبـرـ الصـرـاعـ مـعـ مـكـوـنـاتـهـ ، وـالـخـوـلـهاـ ، وـالـخـلـولـ مـحـلـهاـ ..

٢ - والـداـرـونـية - نـسـبة إـلـى «داـرـونـ» Darwin (١٨٠٩ - ١٨٨٢م) - فـي فـلـسـفة النـشـوـءـ والـاـرـتـقاءـ .. وـهـى التـى قـامـت عـلـى صـرـاعـ الـأـحـيـاءـ ، وـنـسـخـةـ وـمـحـوـ الـأـقـوىـ لـلـأـضـعـفـ وـالـضـعـيفـ ، لـأـنـ الـأـقـوىـ - بـاطـلـاقـ - هـوـ الـأـصـلـ بـاطـلـاقـ ..

٣ - والـصـرـاعـ الطـبـقـىـ - سـوـاءـ فـي مـارـكـسـ «مارـكـسـ» Marx (١٨١٧ - ١٨٨٣م) - أـوـ فـي الـلـيـبـرـالـيـةـ الرـأـسـمـالـيـةـ - .. وـالـذـى يـعـتمـدـ «الـنـزـعـةـ وـالـفـلـسـفةـ الـصـرـاعـيـةـ» فـي عـلـاـقـاتـ الـطـبـقـاتـ الـاجـتـمـاعـيـةـ .. فـالـطـبـقـةـ الـوـلـيـدـةـ وـالـجـديـدـةـ تـصـارـعـ الـطـبـقـةـ الـقـدـيمـةـ ، لـتـقـهـرـهـاـ ، وـتـرـيـحـهـاـ ، وـتـنـقـرـدـ بـكـلـ الشـمـرـاتـ وـالـأـمـتـيـازـاتـ وـالـسـلـطـاتـ .. الـبـورـجـواـزـيـةـ فـيـ الـلـيـبـرـالـيـةـ .. وـالـبـرـولـيـتـارـياـ عـنـدـ الـمـارـكـسـيـينـ ..

لـقـدـ سـاعـدـتـ هـذـهـ النـظـريـاتـ الـثـلـاثـ ، التـىـ صـبـغـتـ هـوـيـةـ الـحـضـارـةـ الغـربـيـةـ بـصـبـغـةـ الـفـلـسـفةـ الـصـرـاعـيـةـ ، عـلـىـ إـمـاتـةـ الضـمـيرـ الغـرـبـىـ ، إـيـانـ «صـرـاعـهـ» مـعـ الـخـضـارـاتـ غـيـرـ الغـرـبـيـةـ .. فـيـماـ أـنـهـ هـوـ الـأـقـوىـ ، فـهـوـ - إـذـنـ - الـأـصـلـ .. وـلـذـلـكـ ، فـإـنـ صـرـاعـهـ ضدـ الـخـضـارـاتـ الـضـعـيفـةـ ، وـالـبـنـىـ الـمـورـوثـةـ لـلـأـمـ الـمـسـتـضـعـفـةـ ، هـوـ «قـانـونـ عـلـمـىـ» ، وـ«أـرـسـالـةـ نـبـيـلـةـ» يـقـومـ بـهـاـ هـذـاـ الرـجـلـ الـأـبـيـضـ

لإزالة «الماضى» .. والمواريث والمؤسسات «الضعيفة» ، وإحلال النموذج الحضارى الغربى «القوى .. والأقوى» ، فى العالم كله ، عبر التطبيقات المتنوعة «لفلسفة الصراع» ! ..

أما اختصاص الإسلام وأمته وحضارته وعالمه بالحظ الوافر من جهود الغرب فى صراع الحضارات ، فإن واقع الصراع التاريخي شاهد عليه .. وصورة الإسلام ورسوله - ~~رسول~~ - وصورة المسلمين ، في الذاكرة والخيال والثقافة والإعلام الغربى شاهد - آخر - عليه .. وكلمة القائد العسكري الإنجليزى «جلوب باشا» - الذى كتب عن الفتوحات العربية .. وحدد تاريخ «مشكلة الشرق الأوسط» مع الغرب - فقال : «إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط يعود إلى القرن السابع للميلاد» !! .. - أى إلى ظهور الإسلام - .. وهى كلمة جديرة - وحدتها - بإيقافه السكارى والنیام ! ..

لذلك كله - ولمثله الكثير - كتلت أثنتى - مع رفضنا لفلسفة الصراع فى علاقات الحضارات ، ومع تزكيتنا لنهاج الإسلام فى التدافع والتسابق بين الحضارات على طريق التقدم - أن ننظر إلى هذا الذى قدمه «ساممويل هاتنجهتون» باعتباره «فضيلة صدق» ، عبرت عن «واقع الموقف الغربى» فى العلاقة «بآخرين» .. وهو «الواقع» الذى خبرناه تاريخيا .. والذى صارحنا «هاتنجهتون» بأنه ثابت ومستمر فى المستقبل القريب والبعيد ! ..

• فالرجل لم يحاول خداعنا - كما يصنع كتاب غربيون آخرون .. ومعهم أغلبية المغاربة من مثقفينا - بالقول بواحدية الحضارة عالميا .. وإنما قال الرجل بتعددية الحضارات على هذا

الكوكب الذى نعيش فيه . . وهو قد حدد «الثقافة» معياراً للعدد وتمثيل الحضارات . . ففى «المدينة» وعلوم المادة ، وعمaran الواقع المادى تشتهر كل الحضارات . . لكنها تمثل وتختلف فى عمران النفس الإنسانية الذى تصنعه الثقافات . . وعن هذه الحقيقة الهمامة قال «هانتنجهتون» : «إن الحضارة هي كيان ثقافى

ومن التعددية الحضارية - فى عالمنا - . . والمعايير الثقافية التى أثمرت هذه التعددية ، يقول : « . . وليس ثمة حضارة عالمية ، بل عالم من الحضارات المختلفة . . وفي العالم سبع أو ثمان حضارات كبيرة :

- ١ - الحضارة الغربية . .
- ٢ - والصينية الكونفوشيوسية . .
- ٣ - واليابانية . .
- ٤ - والإسلامية . .
- ٥ - والهندية . .
- ٦ - والأرثوذكسيّة السلافية . .
- ٧ - والأمريكية اللاتينية . .
- ٨ - وربما الأفريقية . .

وهي حضارات تمثل عن بعضها البعض باللغة ، والتاريخ ، والثقافة ، والعادات ، وأهم من ذلك : الدين .

وابناء هذه الحضارات المختلفة لديهم آراء مختلفة عن العلاقة

بين الله والإنسان ، والفرد والجماعة ، والمواطن والدولة ، والأباء والأبناء ، والزوج والزوجة . وكذلك آراء متباعدة عن الأهمية النسبية للحقوق والمسؤوليات ، والحرية والسلطة ، والمساواة والتنظيم الهرمي .

وهذه الاختلافات هي نتاج فرون ، ولن تختفي في القريب العاجل ، إذ أنها أكثر جوهريّة من الاختلافات بين الأيديولوجية السياسية والنظم السياسية» .

هكذا حدد «سامويل هانتنجتون» - في دقة موضوعية - موقفه مع تعدد الحضارات .. ومع دور الثقافات المتميزة في التعددية الحضارية ، ودور الدين والثقافة في التمايز الحضاري .. وتنوع الأم - ومن ثم الحضارات - في فلسفات : رؤية الكون والناصري والمستقبل ، وتصوراتها المتنوعة للمثل والمعايير الحاكمة والمنظمة للعلاقات بين الفرد والمجتمع ، وبين الأمة والدولة ، وبين الحرية والمسؤولية ، وبين الآباء والأبناء ، وبين الزوج والزوجة ، وفي المساواة والتراث الهرمي .. إلخ .. إلخ ..

● وبعد هذا الانحياز - الموضوعي والدقيق - للتعددية الحضارية في عالمنا ، ورصد معاييرها ، والإشارة إلى أصلتها وثباتها ، وعلو تأثيراتها على الأيديولوجيات السياسية والنظم السياسية ، أفصح «هانتنجتون» عن الموقف الغربي المحاذ لفلسفة الصراع بين الحضارات ، لا كموقف ذاتي اختياره وبشر به ويدعو إليه «هانتنجتون» ، وإنما «كحتمية واقعية» للموقف الغربي إزاء الحضارات الأخرى ..

فهو مجرد لاواصف» لتأريخ هذا الصراع الغربي مع الحضارة الإسلامية . عندما يقول : «إن الصراع على طول خط الخلل بين الحضارتين الغربية والإسلامية يدور منذ ١٣٠٠ عام ، وعلى كلا الجانبيين يُنظر إلى التفاعل بين الإسلام والغرب على أنه صدام حضارات» ..

وهو بالنسبة للمستقبل - مستقبل العلاقة بين الغرب والحضارة الإسلامية - يفصح عن الخطط التي تعلنها الكثير من دوائر صنع القرار الغربي ومراكز الفكر الاستراتيجي الغربي - وهو مدير أحد تلك المراكز بجامعة هارفارد الأمريكية .. فيقول : «إن المؤشرة المركزية للصراع ، في المستقبل القريب ، سوف تكون بين الغرب والدول الإسلامية والاسيوية ..» .

● وبعد هذا «الافتتاح» عن «واقع الموقف الغربي» من صراع الحضارات - تاريخيا .. ومستقبلا .. يأتي دور «هانتنجلون» كمفكر استراتيجي غربي - يهودي الديانة - ليشير على حضارته الغربية بكيفية إدارة هذا الصراع الحضاري ، مستقبلا ، ومراحل هذا الصراع ، وأولويات المعارك فيه ..

فهو يشير على صناع القرار - في حضارته الغربية - بتقسيم مراحل الصراع المستقبلي إلى مرحلتين :

الأولى - والقريبة - : هي مرحلة «المدى القصير» .. وفيها ينصح «هانتنجلون» الغرب بتوحيد عالمه الحضاري ، وتحبيش كل أدوات الصراع - من آلة الحرب إلى الاقتصاد ، إلى السياسة ، إلى الثقافة ، إلى القيم ، إلى المؤسسات الدولية - وتركيز الصراع ضد

الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية . . فيقول : « إنه على المدى القصير من مصلحة الغرب أن يعزز تعاوناً أكبر ، وتوحيداً في نطاق حضارته ، وعلى وجه الخصوص بين مكونيها : الأوروبي والأمريكي الشمالي • وأن يدمج مجتمعات شرق أوروبا وأمريكا اللاتينية في الغرب ، وهي مجتمعات ذات ثقافة قريبة من ثقافة الغرب • وأن يعزز علاقات التعاون مع روسيا واليابان ، ويحافظ عليها • وأن يتحول دون تصعيد الصراعات الأخلاقية بين الحضارات إلى حروب كبرى بين الحضارات » • وأن يحد من توسيع القوة العسكرية للدول الآسيوية والإسلامية • وأن يخفف من تقليل القدرات العسكرية الغربية • ويحافظ على التفوق العسكري شرق وجنوب غرب آسيا » • وأن يستغل الخلافات والصراعات الغربية في الحضارات الأخرى • وأن يقوى المؤسسات الدولية التي تعكس وتوسّع المصالح والقيم الغربية ، وتضفي عليها الشرعية • وأن يروج لاشتراك الدول غير الغربية في هذه المؤسسات . .

فالرجل - كأستاذ وخبير في الاستراتيجية . . ومقرب من دوائر صنع القرار - يضع أقومه « جدول أعمال » الصراع الحضاري في « مرحلة المدى القصير » . . وهو « جدول أعمال » نرى تطبيقاته قائمة على قدم وساق ! . .

فالمطلوب من الغرب - في « المدى القصير » من هذا الصراع الحضاري :

١ - توحيد كيانه الحضاري ، وتعزيز التعاون بين دوائره ، ودمج

شرق أوروبا بغربها ، وكل أوروبا مع أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية .. أي الغرب الثقافي والقريب من ثقافة الغرب .. وهو الغرب النصراني بذاته المختلفة .

٢ - والتعاون والتحميد وضييق الصراعات في كل الدوائر الحضارية ، بل واستغلال حتى تنافسات الغرب في داخل الحضارات غير الغربية ، لكي يكون التركيز ، في الصراع ، ضد الإسلام والصين .

٣ - وتقليل القدرات العسكرية للمسلمين والصينيين ، وزيادة القدرات العسكرية الغربية ، والحفاظ على التفوق العسكري الغربي «في شرق وجنوب غرب آسيا» ، أي في مواجهة الصين والمسلمين ! ..

٤ - وتفوّه المؤسسات الدوليّة التي تنهض «بتسویغ المصالح والقيم الغربية» ، وتتصفيّ عليها الشرعية ، وإشراك الدول غير الغربية في هذه المؤسسات .. لتلتزم بالمواثيق «الدولية» المسوّفة للمصالح والقيم الغربية - على النحو الذي رأيناه ونراه في المؤشرات والمواثيق التي عقدت وتعقد تحت مظلة المؤسسات «الدولية» - من «السكان» - في القاهرة - إلى «المرأة» - في بكين - إلخ .. إلخ ..

تلك هي معالم خطة «هانتجتون» لل لدى القصير ، والمرحلة الأولى من صراع الغرب الحضاري ، الذي ينصح بتركيزه على الحضارتين الإسلامية والصينية ! ..

أما المرحلة الثانية - من هذا الصراع الغربي ضد الحضارات غير الغربية - مرحلة «المدى الطويل» - فهي - بتعبير «هانتجتون» - : مرحلة الاحتواء الغربي للحضارات غير الغربية ،

والتي نجحت في «تحديث» واقعها ، مع احتفاظها بذاتها وحيتها
الحضارية غير الغربية! ..

بعد المرحلة الأولى من هذا الصراع الحضاري .. مرحلة كسر
شوكة الحضارة الإسلامية ، والحضارة الصينية .. تأتي مرحلة
احتواء الحضارات الأخرى ، غير الغربية ، التي حيدها الغرب في
المرحلة الأولى من هذا الصراع ، وخاصة تلك التي نجحت في
ميدان القوة والتحديث العسكري والاقتصادي .. وبعبارات
«هانتجتون» : «أما على المدى الأطول ، فسيكون اتخاذ
إجراءات أخرى أمراً مطلوباً . فالحضارة الغربية هي حضارة
غربية وحديثة معاً . وقد حاولت الحضارات غير الغربية أن
تكون حديثة دون أن تصبح غربية . وحتى يومنا هذا لم تنجح
في هذا المسعى إلا اليابان ، وسوف تواصل الحضارات غير
الغربية محاولاتها للحصول على الثروة والتكنولوجيا والمهارات
والمكانت والأسلحة ، التي تمثل جزءاً من كون الحضارة حديثة .
كذلك ستحاول تلك الحضارات أن توائم هذه الحداثة مع
ثقافتها وقيمها التقليدية ، أما قوتها الاقتصادية والعسكرية
فسوف تزيد بالنسبة للغرب . ومن ثم ، يتوجب على الغرب -
على نحو متزايد - :

● أن يحتوى تلك الحضارات الحديثة غير الغربية ، التي
تقرب قوتها من قوة الغرب ، لكن قيمها ومصالحها تختلف إلى
حد كبير عن قيم ومصالح الغرب . وسوف يستلزم ذلك من
الغرب أن يحافظ بالقوة الاقتصادية والعسكرية اللازمة لحماية
مصالحه فيما يتعلق بهذه الحضارات !

هكذا عبر وأفصح «صامويل . ب هانتنجهتون» عن الرؤية الغربية للمستقبل الحضاري للعالم الذي نعيش فيه .

فالغرب يتصور حضارته منفردة «بالعرش الحضاري» العالمي .. فهى المركز والمنهج والطريق الذى يجب على الآخرين تقليله ، أو اللحاق به ، لتبنىه .. حداثة كان هذا التمودج ، أو ما بعد الحداثة ! .. لأن التبiralية الرأسمالية هي - بالنسبة للعالم كله - هي نهاية التاريخ - «والقدر الغربى» ، الذى ليس منه فرار ! ..

ويتصور «الصراع» بين الحضارات المتعددة ، سبيلا لإلغاء هذه المتعددية الحضارية - فى المدى الطويل - .. فبعد استجمام الغرب وحدته وتجيشه لكل إمكاناته ، وتحييده للحضارات غير الغربية ، ينجز مهمة المرحلة القصيرة والأولى من هذا الصراع الحضاري : كسر شوكة الحضارة الإسلامية ، والحضارة الصينية ، مع ضبط كل الحضارات داخل المؤسسات «الدولية» التى تقوم بهممة توسيع المصالح والقيم الغربية ، وإضفاء الشرعية عليها» ! ..

اما فى المدى الأطول - وبعد الفراغ من كسر شوكة الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية - فسيكون الهدف الغربى - فى هذا الصراع الحضارى - هو احتواء بقية الحضارات غير الغربية ، تلك التى لمجحت فى تحدث مجتمعاتها عسكريا واقتصاديا - وهى الحضارات التى سبق «وحيدها» الغرب فى المرحلة الأولى من هذا الصراع - .. وذلك ليتحقق للغرب الانتصار الأعظم فى هذا الصراع ، منفردا بالقوة والتحديث والهيمنة على العالم ، دونا شريك .. وخاصة إذا جمع هذا

«الشريك» بين التمييز الثقافي والحضاري وبين نهضة التحديث
وقدرة التجديد ! ..

هكذا يفكر الغرب - كحضارة - في دوائر الفكر
الاستراتيجي .. وفي دوائر صنع القرار .. وليس بالضرورة
كإنسان ، بعميم وإطلاق ..

ففي الغرب تيارات فكرية تدرك أن هذه الفلسفة الصراعية -
التي تتبايناً كثيرة من مراكز الدراسات الاستراتيجية الغربية .
وتطبقها وقارسها كثيرة من الحكومات الغربية - تدرك أن هذه
الفلسفة الصراعية إنما تمثل «خطيئة فكرية» ، ووبالاً على الإنسانية
جميعاء .. وبعض هذه التيارات الفكرية - في الغرب - يسعى إلى
الحوار الصادق مع تيارات التجديد الإسلامي . لاكتشاف وتحديد
وبلورة القيم الإنسانية المشتركة بين مختلف الحضارات والأنساق
ال الفكرية والعقدية مختلف الأمم والشعوب والديانات والثقافات ..
أما الغرب ، الذي أفصح عن «واقعه الفكري والعملي» صامويل
هانتنجهتون فهو هذا الذي رأيناه ورأينا مخططه في صراع الحضارات ..
ولنا أن نسأل : من ذا الذي يستحق منها التقدير والاحترام :
- صامويل . ب هانتنجهتون .. الذي انحاز إلى التعددية
الحضارية في عالمنا .. ثم أفصح عن الموقف الغربي من هذه
التعددية الحضارية ? ..

- أم هؤلاء الذين يخدعوننا عندما يتحدثون عن وحدة الحضارة
العالمية ، التي غدت - بما يسمونه «العولمة» - قرية واحدة .. متواهلين

أن أهل هذه القرية ليسوا سواسة .. فمنهم القاتل ومنهم المقتول .. و منهم المدحج بكل أسلحة الدمار ومنهم من يُنزع سلاحه .. . ومنهم مغتصب الأرض والعرض والسيادة ومنهم المشردون المفرومون من أبسط الحقوق في تقرير المصير .. . ومنهم الذين يجتازون اقتصاديات وقيم وثقافات الآخرين ، ومن تعرّض هوياتهم وخصوصياتهم لأشرس أعداء الاجتياح !! .. من يستحق الاحترام ..

«هانتجتون» .. الذي يصارحنا بحقيقة الفكرائد في الغرب - ببراكز الدراسات الاستراتيجية .. وفي دوائر صنع القرار - ؟ .. أم دعوة «العزلة» و «الكونية» : «الكوننة» .. أولئك الذين يطعمهم الإعلام الغربي بالصطلاحات التي يصيّرها ، وبضمائين هذه المصطلحات ، لينطلقوا في الترديد والتكرار والتقليل؟ ! ..

أعتقد - والله أعلم - أن «ساموبيل . ب هانتجتون» هو الجدير بالاحترام !

* * *

وإذا كانت هذه هي الرؤية الغربية للعلاقة بين الحضارات ، والتي تأسست على «النزعة الصراعية» التي صبّت فكرية الحضارة الغربية - منذ صراعات آلهة اليونان بعضهم مع بعض وحتى صراع الحضارات الذي تحدث عنه هانتجتون - وعبر صراعات الدينية والمذهبية والقومية والاستعمارية . فإن للإسلام رؤية أخرى للعلاقة بين الحضارات ..

• فالإسلام يرفض فكرة الوحدوية والمركزية الحضارية ، بانحيازه

إلى «فلسفة التعددية» ، كثروية كونية .. فالواحدية هي فقط للذات الإلهية ؛ وما عدا الله - سبحانه وتعالى - يقوم على التعدد والتساند والتوازن والارتفاع ..

يرى الإسلام هذه التعددية السنة الإلهية والقانون الكوني الذي لا تبدل له ولا تحويل .. في الشعوب والأم والقبائل .. وفي الألسنة واللغات والقوميات .. وفي الشرائع والملل والنحل .. وفي المذاهب والثقافات والحضارات .. فالتعددية هي الأصل والقاعدة والقانون .. والعالم يجب أن يكون «منتدى حضارات» ، لا حضارة واحدة تصرع غيرها من الحضارات ! ..

• والبديل الإسلامي لصراع الحضارات ، ليس حالة «السكون» في علاقات الحضارات بعضها البعض الآخر ، لأن في السكون «مواتا» ، ربما أفضى إلى «التبغة والتقليد» ، اللذين ينتهيان إلى الواحدية والمركزية الحضارية .. وإنما البديل الإسلامي لفلسفة الصراع ، هو «فلسفة التدافع» بين الحضارات ..

وهذا التدافع هو «حركة» اجتماعي وثقافي وحضاري ، أي تنافس وتسابق بين الحضارات يعدل الموقف الظالم ، والممارسات الجائرة ، وال العلاقات المنحرفة ، دون صراع يصيغ الأطراف الأخرى - فيلغى التعددية - وإنما بالحركة والتسابق الذي يعيد العلاقات المختلفة إلى درجة التوازن والعدل في العلاقات بين مختلف الفرقاء ..

«فالتدافع الحضاري» - الذي هو حركة وتنافس وتسابق ، يحافظ على التعددية . ويتوسط بين «الصراع» وبين «السكون» -

هو فلسفة الإسلام وسبيل حضارتنا الإسلامية في العلاقات بين الحضارات ..

وفلسفة التدافع هذه ليست مجرد «فکر إسلامي» ، حتى تكون من مناطق «الاجتهادات والمتغيرات» ، وإنما هي «دين ثابت» ، ومنهاج بلوره الوحي الإلهي في القرآن الكريم ، باعتباره سنة من سنن الله في الاجتماع الإنساني ، حاكمة للعلاقات بين الأفكار والشريائع والملل والأقوام والحضارات ..

فالله - سبحانه وتعالى - عندما يخاطب رسوله - ﷺ - فيقول له : ﴿لَا تُستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بيتك وبينك وبينه عداوة كأنه ولد حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ [فصلت : ٣٢، ٣٣] ...
يعلمنا - سبحانه - معالم هذا المنهاج .. فالتدافع لا يتغير «صرع الآخر والغاءه» ، وإنما تحويل موقفه وموقعه من «العداوة» - التي تجعله من أهل «السيئات» - إلى موقع و موقف «الولي الحميم» - الذي يجعله من أهل «الحسنات» ! .. فيتم «الحركة» ، بواسطة «التدافع» ، مع بقاء «تعددية الفرقاء التمايزين» ..

بل لقد حدثنا القرآن الكريم عن هذه «السبيل الإسلامية» - سبيل «التدافع» ، لا «الصراع» - باعتبارها الحافز الذي يدفع الحياة والعمان إلى الارتفاع دائمًا وأبدًا .. ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم بعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾

[البقرة : ٢٥١]

فالصراع الحضاري .. ونقشه - السكون الحضاري ليس سبيل التقدم والصلاح والإصلاح ، وإنما سبيل التقدم هو وسطية التدافع والتنافس والتسابق على طريق التقدّم والنهوض والخيرات ..

وعندما أذن الله - سبحانه وتعالى - لرسوله - ﷺ - وللمؤمنين بالقتال - قتال الذين أخرجوهم من ديارهم وقاتلواهم وفتّوهم في الدين - جاء الحديث عن «التدافع» ، لتكون غايات القتال - الذي فرض على المسلمين وهو كُرْهَةٌ لهم - هي تعديل مواقف المشركين من مواقع العداء المشرك المعتمد إلى مواقف السلام ، فهي «حرثاً» لا «نفي واهلاً» : {إِنَّ اللَّهَ يَدْعُ عَنِ الظُّلْمِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَانِيْكُفُورٍ} . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدر . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولو لا دفع الله الناس بعضهم بعض ثمّ هدمت صوامع وبيوت وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقويٌ عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكوة وأمرُوا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور } [الحج: ٢٨ - ٤] .

فللسنة «التدافع الحضاري» هي البديل الإسلامي «الفلسفة الصراع الحضاري» الغربية .. ولذلك ازدهرت في دولة الإسلام وحضارته وأمته التعددية في الملل والشحل والشرائع واللغات

والقوميات والعادات والأعراف ، فعاشت الديانات - الكتابية
واللوضعية - ومؤسساتها ، في ظلال حضارة الإسلام ..

على حين جعلت «النزعة الصراعية» الحضارة الغربية تضيق
حتى بالتعددية المذهبية داخل الصراعية ! .. ولا تزال هذه «النزعة
الصراعية» تحد للغرب منهاج العداون وطريق الصراع ضد سائر
الحضارات .. وخاصة حضارة الإسلام ! .. على النحو الذي رأينا
في «اعتراف» «صاموويل . ب . هانتنجهتون» !

الرؤية الغربية
مقال
سامويل ب. هانتنجهتون
صدام الحضارات^(١)

(١) نشر سامويل ب. هانتنجهتون . وهو مفكر استراتيجي . . . يهودي الديانة . . . أمريكي الجنسي . يعمل مدير المعهد « جون . م أولين » للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد الأمريكية . . . ومن المقربين إلى دوائر صنع القرار بالإدارة الأمريكية . نشر هذا المقال في مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية . وهي عربية متخصصة عالية المستوى بعنوان The Clash of Civilization سنة ١٩٩٣ م ولقد صدرت - بالعربية - ترجمات عدة لهذا المقال . اختبرنا منها ترجمة عبد المنعم محفوظ . انظر مجلة (الأخرين الوطني) السعودية . عدد ذي القعده . ذي الحجة سنة ١٤١٦ هـ - مارس - إبريل سنة ١٩٩٦ م

النقطة القادمة للصراع

إن فرضيتي تقوم على أن المصدر الجوهري للصراع في هذا العالم الجديد لن يكون في الأصل أيدلوجياً أو في الأصل اقتصادياً ، وإنما ستكون الانقسامات الكبيرة بين الجنس البشري والمصدر السائد للصراع ثقافياً . وسوف تبقى الدول القومية هي أكثر الفاعلين قوة في الشئون الدولية ، ولكن الصراعات الرئيسية للسياسة العالمية سوف تقع بين الأمم والجماعات ذات الحضارات المختلفة ، وسوف يسيطر صدام الحضارات على السياسة العالمية وستكون خطوط الخلل بين الحضارات هي خطوط المعركة في المستقبل .

سوف يكون الصدام بين الحضارات هو الطور الأخير في منحني تطور الصراع في العالم الحديث . فعلى مدار قرن ونصف القرن من بروز النظام الدولي الحديث بتوقيع سلام « وستفاليا » ، كانت الصراعات في العالم الغربي تتشعب إلى حد كبير بين الأسراء - الأباطرة ، ملوك مستبدون وملوك دستوريون يحاولون أن يتوضعوا في بيروقراطياتهم وجيوشهم وقوتهم الاقتصادية التجارية وأهم من ذلك الأراضي التي يحكمونها . وفي ثنایا تلك العملية أوجدوا الدول القومية . وابتداء من الثورة الفرنسية أصبحت خطوط الصراع الرئيسية بين الدول وليس الأسراء . وفي عام ١٧٩٣ على حد قول ر. ر. بالمر : « انتهت حروب الملوك وبدأت حروب الشعوب » . وقد استمر خط صراع القرن

الناسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . منذ ذلك الحين و كنتيجة للثورة الروسية و رد الفعل المضاد لها ، أفسح صراع الشعوب المجال لصراع الأيديولوجيات ، أولاً بين الشيوعية والفاشية النازية ، ثم بعد ذلك بين الشيوعية والديمقراطية الليبرالية ، أثناء الحرب الباردة أصبح هذا الصراع متجمساً في النزاع بين القوتين العظميين ، اللتين لم تكن أيهما دولة قومية بالمعنى الكلاسيكي الأوروبي كما أن كلاً منهما حددت هويتها على أساس أيديولوجيتها :

وقد كانت هذه المصراعات بين الأمراء والدول القووية والأيديولوجيات مصراعات تدور أساساً في نطاق الحضارة الغربية ، أي أنها كانت « حروباً أهلية غربية » كما أسمتها وليم ليند . وكان ذلك حقيقة بالنسبة للحرب الباردة ، كما كان بالنسبة للحربين العالميين والخروب السابقة في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر . ومع نهاية الحرب الباردة تتحرك السياسة الدولية خارج طورها الأوروبي ويصبح مركز ثقلها هو التفاعل بين الغرب والحضارات غير العربية ، وكذلك بين الحضارات غير العربية مع بعضها البعض . وفي سياسات الحضارات لم تعد شعوب وحكومات الحضارات غير الغربية أغراضاً تاريخية يوصفهم أهدافاً للاستعمار الغربية ، ولكنهم ينضمون إلى الغرب كمحركين ومشكلين للتاريخ .

طبيعة الحضارات

أثناء الحرب الباردة كان العالم منقسمًا إلى العالم الأول والثاني والثالث ولم تعد تلك التقسيمة عملية . وإنه لذو مدلول أكثر إلى حد بعيد الآن أن تصنف البلدان ليس على أساس نظمها السياسية والاجتماعية أو على أساس مستواها من النمو الاقتصادي ، ولكن على الأصح على أساس ثقافتها وحضارتها . ولكن ماذا نقصد عندما نتكلم عن الحضارة؟ الحضارة هي كيان ثقافي فالقرى والأقاليم والجماعات العرقية والقوميات والجماعات الدينية كلها لديها ثقافات مميزة على مستويات متباينة من التمايز الثقافي . وقد تكون ثقافة قرية في جنوب إيطاليا مختلفة عن ثقافة قرية أخرى في شمال إيطاليا : إلا أن القرىتين سوف تشتريkan في ثقافة إيطالية بما يميزها عن القرى الألمانية ، كما أن المجتمعات الأوروبية بدورها سوف تشارك في ملامح ثقافية تميزها عن المجتمعات العربية أو الصينية . غير أن العرب والغربيين والصينيين ليسوا جزءاً من أي كيان ثقافي أوسع إذ أنهم يشكلون حضارات ، والحضارة على هذا النحو هي أعلى تجسيد ثقافي للبشر ، كما أنها أعرض مستوى للهوية الثقافية يتمتع به البشر التي من دونها لا يتميز الجنس البشري عن الأنوع الأخرى من الكائنات . وتحدد الحضارة بكل من عناصر الأهداف المشتركة مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات ، وأيضاً بإثبات الهوية الذاتية للبشر . وللبشر مستويات من الهوية فأحد أبناء روما قد يحدد هويته بدرجات متفاوتة على أنه رومي (النسبة للمدينة) وإيطالي

وكاثوليكي ومسحي وآوروبي وغربي . والحضارة التي ينتهي إليها مثل أعرض مستوى لإثبات الهوية يتحقق هويته من خلالها بشدة ، ويمكن للناس أن يعيدوا صياغة هويتهم . وهم يفعلون ذلك . ونتيجة لذلك تغير بنية وحدود الحضارة . وقد تشمل الحضارات على عدد هائل من الناس كما هو الحال لدى الصين (١) حضارة تدعى أنها دولة « على حد قول لوسيان باي) أو عدد صغير جداً من الناس مثل المتحدثين بالإنجليزية في البحر الكاريبي ، وقد تضم الحضارة في ثناياها عدة دول قومية كما هو الحال مع الحضارة الغربية أو حضارة أمريكا اللاتينية أو الحضارة العربية ، أو تحصر في دولة قومية واحدة كما هو الحال الحضارة اليابانية . ومن الواضح أن الحضارات تتزوج وتتدخل مع بعضها البعض وقد تشمل على حضارات فرعية ، فالحضارة الغربية لها شكلان رئيسيان معاً هما الأوروبي والأمريكي الشمالي ، والحضارات الإسلامية لديها التفصيمات الفرعية العربية والتركية والملاوية . والحضارات مع ذلك تمثل كيانات ذات دلالة ، وبينما لا تكون الخطوط بينها قاطعة إلا نادراً فإنها خطوط حقيقة . والحضارات تمتاز بديتميكتيتها فتراوح بين الصعود والسقوط والانقسام والتمازج ، وكما يعرف أي دارس للتاريخ فإن الحضارات تندثر أيضاً وتذهب في رمال الزمن .

ويميل الغربيون إلى الاعتقاد بأن الدول القومية هي الفاعل الرئيسي في الشؤون العالمية ، إلا أن تلك الدول كانت كذلك لبعض قرون فحسب ، ولكن الآفاق الأوسع للتاريخ الإنساني كانت هي تاريخ الحضارات . وأنلوند تويني في كتابه (دراسة في التاريخ) حدد إحدى وعشرين حضارة لم يبق منها في العالم المعاصر إلا ست فقط .

لماذا استتصاص الحضارات؟!

إن هوية الحضارات سوف تكون لها أهمية متزايدة في المستقبل وسوف يتشكل العالم إلى حد كبير بالتفاعل بين سبع أو ثمان حضارات كبرى ، وتشتمل هذه الحضارات على الحضارة الغربية والصينية الكونفوشيوسية واليابانية والإسلامية والهندية والأرثوذكسيّة السلافية والأمريكية اللاتينية وربما الأفريقية ، وسوف تقع أهم الصراعات في المستقبل على طول خطوط الخلل التي تفصل حضارة عن الأخرى .

لماذا ستكون هذه هي الحالة؟

أولاً: إن الاختلافات بين الحضارات ليست حقيقة فحسب ، بل إنها أساسية ، فالحضارات تتميز عن بعضها البعض باللغة والتاريخ والثقافة والعادات وأهم من ذلك الدين . وأبناء الحضارات المختلفة لديهم آراء مختلفة عن العلاقة بين الله والإنسان ، والفرد والجماعة ، والمواطن والدولة ، والأباء والأبناء ، والزوج والزوجة ، وكذلك آراء متباعدة عن الأهمية النسبية للحقرق والمسؤوليات والحرية والسلطة ، والمساواة والتنظيم الهرمي . وهذه الاختلافات هي نتاج قرون وليں تختفي في القريب العاجل إذ إنها أكثر جوهرية من الاختلافات بين الأيديولوجيات السياسية والنظم السياسية ؛ إلا أن الاختلافات لا تعنى بالضرورة الصراع والصراع لا يعني بالضرورة العنف ، غير أنه على مدى القرون ولدت الخلافات بين الحضارات أكثر الصراعات طولاً وأشدتها عنتاً .

ثانياً: إن العالم يتحول إلى مكان أصغر والتفاعلات بين شعوب الحضارات المختلفة في تزايد ، وهذه التفاعلات المتزايدة تكشف من الشعور بالتفاوت الحضاري والوعي بالاختلافات بين الحضارات ، وكذلك التجمعات ذات السمات المشتركة داخل الحضارة الواحدة . فهجرة أبناء شمال إفريقيا إلى فرنسا تولد العداء في أواسط الفرنسيين ، ولكنها في الوقت نفسه تزيد من تقبل هجرة البولنديين الكاثوليك الأوروبيين « الطيبين » والأمريكيون يستجيبون للاستثمارات اليابانية بسلبية تفوق كثيراً سلبيتهم إزاء الاستثمارات الأكبر من كندا والبلدان الأوروبية . وبالمثل كما يشير دونالد هوروتس « فقد يكون أحد أبناء جنوب النiger أولى أو أونتيشاي فيما كان يعد الإقليم الشرقي للنiger . وفي لاجوس يكون بساطة أحد أبناء جنوب النiger ، وفي لندن يكون نيجيريا أما في نيويورك فهو أفريقي » . إن التفاعلات بين شعوب الحضارات المختلفة تقوى الشعور بالتفاوت الحضاري للبشر وهذا بدوره يحيي الخلافات والبغضاء التي تنتد أو يعتقد أنها تنتد في أغوار التاريخ .

ثالثاً: إن عمليات التحديث الاقتصادي والتغيير الاجتماعي في كل أرجاء العالم تفصل البشر عن الهويات المحلية الراسخة ، كما أنها تضعف الدولة القومية كمصدر للهوية ، وفي كثير من مناطق العالم تحرك الدين ملء هذه الفجوة ، ولكن غالباً في صورة تيارات توصف بالتشدد ومثل تلك التيارات موجودة في المسيحية الغربية والمسيحية والبوذية والهندوسية وكذلك الإسلام . في معظم البلدان ومعظم الديانات يكون الأفراد النشطون المنتسبون إلى هذه التيارات شباباً ومتعلميين في الكليات وفنين من الطبقة

الوسطى ومهنيين وأشخاصاً يعملون في إدارة الأعمال ، وقد لاحظ جورج فيجل « أن انتلاغ العلمانية من العالم هي إحدى حقائق الحياة الاجتماعية المهيمنة في أواخر القرن العشرين ». إن الإحياء الديني يوفر مركزاً للهوية والتزاماً يتجاوز الحدود القومية ويقرب بين الحضارات .

رابعاً: إن غلو الشعور بالتفاوت الحضاري يقويه الدور المزدوج الذي يلعبه الغرب . فمن ناحية بعد الغرب في ذروة القوة ، إلا أنه في الوقت نفسه وربما كنتيجة لهذه الحقيقة ، تحدث ظاهرة العودة إلى الجذور بين الحضارات غير الغربية . فالماء يسمع على نحو متزايد إشارات عن التوجهات للانكفاء على الذات والتحول إلى الطابع الآسيوي في اليابان ونهاية تراث نهرو والتحول إلى الطابع الهنديوسى في الهند ، وانخفاض الأفكار الغربية عن الاشتراكية والقومية ومن ثم « إعادة أسلامة » الشرق الأوسط ، والآن ثمة سجال يدور حول التغريب في مقابل التحول إلى الطابع الروسي في بلد « بوريس يلتسين » .

إنه غرب في ذروة قوته يواجهه غير غربيين تتزايد لديهم الرغبة والإرادة والمواد لتشكيل العالم بطرق غير غربية .

في الماضي كانت فئات النخبة في المجتمعات غير الغربية هي عادة أكثر الناس ارتباطاً بالغرب ، حيث تعلموا في جامعات أكسفورد والسوبريون وكلية ساند هيرست وتشربوا الاتجاهات والقيم الغربية في الوقت الذي ظل فيه العامة في البلدان غير الغربية مشبعين بالثقافة المحلية ، ولكن الآن يتم قلب هذه العلاقات إذ يحدث نزع للطابع الغربي لدى فئات النخبة وتأصيل الثقافة المحلية لديهم في عديد من البلدان غير الغربية في الوقت الذي تصبح فيه

الثقافات وأساليب المعيشة والعادات الغربية ، أمريكية في أغلب الأحيان ، أكثر شيوعاً بين جماهير الشعب .

خامساً: إن الخصوصيات والاختلافات الثقافية أقل تبدلاً ومن ثم فإنها أقل قابلية للتراضي بشأنها والتوصيل حلول لها عن الخصوصيات والاختلافات الاقتصادية والسياسية . ففي الاتحاد السوفييتي السابق يمكن أن يصبح الشيوعيون ديموقراطين والأغنياء يمكن أن يصبحوا فقراء ، والفقراء أغنياء ، ولكن الروس لا يمكن أن يصبحوا أستونيين كما لا يمكن أن يصبح الأذربيجانيون أرمنيين ، في الصراعات الطبقية والأيديولوجية كان السؤال الرئيسي هو « مع أي طرف تقف؟ » وكان بإمكان الناس أن يختاروا الأطراف التي يقفون معها وأن يغيروا تلك الأطراف وكانتوا بفعلهن ذلك . أما في الصراع بين الحضارات فالسؤال هو « ما هي وطنك؟ » وهو معطى لا يمكن أن يتغير ، وكما نعرف من البوسنة إلى القوقاز إلى مناطق أخرى يمكن أن تعنى الإجابة الخاطئة على هذا السؤال رصاصة في الرأس . والذين يميز بين الناس أكثر من الانتقام العرقي بصورة حادة وعلى نحو خطاطن ! إذ يمكن للشخص أن يكون نصف فرنسي ونصف عربي وفي الوقت نفسه حتى مواطننا في بلد़ين ولكن من الصعوبة يمكن أن يكون نصف كاثوليكي ونصف مسلم .

أخيراً فإن الإقليمية الاقتصادية تتزايد إذ ارتفعت نسب التجارة الكلية الإقليمية بين ١٩٨٠ إلى ١٩٨٩ من ٥١ في المائة إلى ٥٩ في المائة في أوروبا ، ومن ٣٣ في المائة إلى ٣٧ في المائة في شرق آسيا ، ومن ٣٢ في المائة إلى ٣٦ في المائة في شمال أمريكا ، ومن المرجح أن تستمر أهمية التكتلات الاقتصادية في المستقبل .

ومن ناحية ، اسوف تعزز الإقليمية الاقتصادية الناجحة من الشعور بالتفاوت الحضاري ومن ناحية أخرى فإن الإقليمية الاقتصادية قد تنجح فقط عندما يتم ترسيخها في حضارة مشتركة . فالجامعة الاقتصادية الأوروبية ترتكز على الأسس المشتركة للثقافة الأوروبية والمسيحية الغربية . أما نجاح اتفاقية التجارة الحرة في أمريكا الشمالية (نافتا) فيعتمد على التقارب الجارى حالياً بين الثقافة المكوبكية والثقافة الكندية والثقافة الأمريكية . أما اليابان فهي على العكس من ذلك تواجه مصاعب في خلق كيان اقتصادى مقارن في شرق آسيا ؛ لأن اليابان تعد مجتمعاً وحضارة فريدة بذاتها ، ومهما كانت قوة الروابط التجارية والاستثمارية التي تتميّز بها اليابان مع بلدان شرق آسيا الأخرى ؛ فإن اختلافاتهما الثقافية مع هذه البلدان تعوق وربما تحول دون الارتقاء بالتكامل الاقتصادي مثل ذلك القائم في أوروبا وأمريكا الشمالية .

وعلى النقيض من ذلك تسهل الثقافة المشتركة بوضوح من التوسيع السريع للعلاقات الاقتصادية بين جمهورية الصين الشعبية وتايوان وسنغافورة والجاليات الصينية فيما وراء البحار في بلدان آسيا الأخرى . مع انتهاء الحرب الباردة تتغلب العموميات الثقافية بصورة متزايدة على الخلافات الأيديولوجية وتتحرّك الصين وتايوان للاقتراب بعضهما من بعض أكثر ، وإذا كانت العمومية الثقافية شرطاً مسبقاً للتكامل الاقتصادي ، فمن المرجح أن تكون الكتلة الاقتصادية الرئيسية لشرق آسيا في المستقبل متصرّفة في الصين . وهذه الكتلة في الحقيقة ، بدأت تشق طريقها بالفعل إلى الوجود كما لاحظ « موراي ويدينبوم » .

رغم الهيمنة اليابانية الحالية على المنطقة ، فإن اقتصاد آسيا الذي يتخذ من الصين قاعدة ، يأخذ في التقدّم بسرعة بوصفه مركزاً للصناعة والتجارة والتمويل ، وتحوي هذه المنطقة الاستراتيجية قدرًا وافرًا من التكنولوجيا والقدرة التصنيعية (تايوان) ودرأية فائقة في المشاريع والتسويق والخدمات (هونغ كونغ) وشبكة اتصالات رائعة (سنغافورة) ومعيناً هائلاً من رأس المال التمويلي (الثلاثة مجتمعين) وقطاعات ضخمة للغاية من الأرض والموارد والعمال (الصين الشعبية) . . . ومن جوانبها إلى سنغافورة ومن كوالالمبور إلى مانيلا ، توصف هذه الشبكة المؤثرة - التي تتركز في الغالب على امتدادات لعشائر التقليدية - بأنها العمود الفقري لاقتصاد شرق آسيا .

كذلك تشكل الثقافة والمذلين الأساس الذي ترتكز عليه منظمة التعاون الاقتصادي الذي تضم عشر دول إسلامية غير عربية : إيران وباكستان وتركيا وأذربيجان وكازاخستان وكيرجستان وتركمانستان وطاجيكستان وأوزبكستان وأفغانستان . واحدى القوى الدافعة لإحياء وتوسيع هذه المنظمة ، التي أنهاها أصلاً كل من تركيا وإيران وباكستان عام ١٩٦٠ م ، هي إدارة زعماء العديد من هذه البلدان أنهم لا فرصة لديهم لدخول السوق الأوروبية المشتركة . وبالمثل فإن مجموعة الكاريبي الاقتصادية والسوق المشتركة لأمريكا الوسطى والميركونسيير كلها ترتكز على أساس ثقافية مشتركة ، إلا أن المجهودات التي بذلت لإقامة كيان اقتصادي لأمريكا الوسطى والكاريبي يتجاوز خط التقسيم الأنجلو - لاتيني باعت حتى تاريخه بالفشل .

وبينما يحدد الناس هويتهم على أساس من انتسابهم العرقي أو الديني ، فمن المتوقع أن يروا علاقة « نحن » في مقابل « هم » قائمة بينهم وبين أهل الأعراق أو الأديان الأخرى ، وتسمح نهاية الدول المحددة أيديولوجيا للهويات والبغضاء العرقية التقليدية باحتلال موضع الصدارة . والاختلافات في الثقافة والدين تولد اختلافات بقصد القضايا السياسية ابتداء من حقوق الإنسان ومرورا بالهجرة والتجارة إلى البيئة . ويؤدي التجاور الجغرافي إلى نشوء دعاوى الصراع على الأرضى من البيومنة حتى « ميندناؤ » . أهم من ذلك أن مجاهدات الغرب في الترويج لقيمها الخاصة بالديموقراطية والليبرالية كقيم عالمية والحفاظ على تفوقه العسكري والارتفاع بصالحه الاقتصادية تولد ردود فعل مضادة من الحضارات الأخرى ، ومع تقلص قدرتها على حشد الدعم وتشكيل تحالفات على أساس أيديولوجي ، سوف تحاول الحكومات والجماعات على نحو متزايد أن تخند الدعم بالالتجاء إلى الهوية الدينية والحضارية . وهكذا يقع صراع الحضارات على مستوىين اثنين على المستوى الأصغر تتصارع الجماعات المتجاورة على طول خطوط الخلل بين الحضارات غالبا بصورة عنيفة من أجل السيطرة على الأرض وعلى بعضها البعض . وعلى المستوى الأكبر تتنافس الدول ذات الحضارات المختلفة من أجل القوة العسكرية والاقتصادية النسبية ، والتنافس للسيطرة على المؤسسات الدولية وترويج قيمها الخاصة السياسية منها والاقتصادية على نحو تنافسي .

خطوط الخلل بين الحضارات

تجل خوطط الخلل بين الحضارات محل الحدود السياسية والأيديولوجية للحرب الباردة كنقط توهج للأزمات وسفك الدماء ، فقد بدأت الحرب الباردة عندما قسم الستار الخديدي أوروبا سياسياً وأيديولوجياً ، وانتهت الحرب الباردة مع نهاية الستار الخديدي ، وبينما يختفي التقسيم الأيديولوجي لأوروبا ، يعود التقسيم الشاققى لأوروبا بين المسيحية الغربية من ناحية والمسيحية الأرثوذكسية والإسلام من ناحية أخرى إلى الظهور .

إن الصراع على طول خط الخلل بين الحضارتين الغربية والإسلامية يدور منذ ١٣٠٠ عام . فيعد ظهور الإسلام لم ينته اندفاع العرب والمغاربة غرباً وشرقاً إلا في طولون عام ٧٣٢ م . وابتداءً من القرن الحادى عشر حتى الثالث عشر حاول الصليبيون بنجاح موقوت أن يدخلوا المسيحية والحكم المسيحي إلى الأرض المقدسة . ومن القرن الرابع عشر حتى السابع عشر قلب الأتراك العثمانيون الموازين فبسطوا سلطانهم على الشرق الأوسط وببلاد البلقان واستولوا على القسطنطينية وفرضوا الحصار على قيينا مرتين ، وعندما تضعضعت القوة العثمانية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، رسمت كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا السيطرة الغربية على شمال إفريقيا والشرق الأوسط .

بعد الحرب العالمية الثانية بدأ الغرب بدوره يتغهّر حيث اختفت الإمبراطوريات الاستعمارية ، وراحـت القومية العربية أولاً ثم الأيديولوجية الإسلامية تفصح عن نفسها . أصبح الغرب يعتمد اعتماداً شبيه كلـى على بلدان الخليج العربي في الحصول على الطاقة ، وأصبحت البلدان الإسلامية الغنية بالبترول غنية بالأموال ، وعندما ترغب ، غنية بالسلاح أيضاً . وقعت عدة حروب بين العرب وإسرائيل (التي أوجدها الغرب) ، كما خاضت فرنسا حرباً دموية لا هواة فيها في الجزائر استمرت أغلب سنوات الخمسينيات ، وغزت القوات البريطانية والفرنسية مصر عام ١٩٥٦ كما ذهبت القوات الأمريكية إلى لبنان عام ١٩٥٨ م . فيما بعد عادت القوات الأمريكية إلى لبنان وهاجمت ليبيا واشتبكت في عدة مواجهات عسكرية مع إيران . وفي أعقاب حرب الخليج عام ١٩٩٠ م التي شارك فيها الغرب راح تحظيـطـ حـلـفـ شمال الأطلسيـ يوجهـ بـصـورـةـ متـزاـيدـةـ نحوـ التـهـديـدـاتـ والـقـلـافـلـ المـحـتمـلةـ علىـ طـولـ «ـ صـفـهـ الجـنـوـبـيـ » .

ومن غير المتوقع أن يؤود ذلك التفاعل العسكري الذي يرجع إلى قرون بين الغرب والإسلام إلى الزوال ، بل يمكن أن يصبح أكثر ضراوة .

كذلك فإن العلاقات بين البلدان الإسلامية والغرب تعقد منها أيضاً العوامل الديمografية ، حيث أدت الزيادة السكانية المذهلة في البلدان العربية ، وخاصة في شمال إفريقيا ، إلى الهجرة المتزايدة إلى أوروبا الغربية ، وقد أدى تحرك أوروبا الغربية نحو

تفليص الحدود الداخلية إلى احتدام الحساسيات السياسية فيما يتعلق بهذا التطور . ففي إيطاليا وفرنسا وألمانيا يتم التعبير عن العنصرية علينا على نحو متزايد كما أصبحت ردود الفعل السياسية والعنف ضد المهاجرين العرب والأترالوث أكثر حدة وأوسع انتشاراً منذ عام ١٩٩٠ م .

وعلى كلا الجانبين يُنظر إلى التفاعل بين الإسلام والغرب على أنه صدام حضارات . ويرى م . ج . مولف هندي مسلم « أن المواجهة التالية للغرب سوف تأتي من العالم الإسلامي وسوف يبدأ الكفاح من أجل نظام عالمي جديد بزحف الشعوب الإسلامية من المغرب إلى باكستان » . وكذلك يصل برنارد لويس إلى نتيجة مماثلة :

« إننا نواجه حالة نفسية وحركة تتجاوز إلى حد بعيد مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تتبعها . وهذا ليس بأقل من صدام الحضارات - أو ربما كان ذلك هو رد الفعل غير العقلاني (وإن يكن تاريخياً على وجه التحقيق) ، لمنافس قديم تجاه تراثنا اليهودي المسيحي وحاضرنا العلماني وامتداد كليهما إلى كافة أرجاء العالم .

وعلى الحدود الشمالية للإسلام يتفجر الصراع بصورة متزايدة بين الشعوب الأرثوذكسية والإسلامية بما فيها مذبحة البوسنة وسربيفو ، والصراع المتاجع بين الصرب وألبانيا والعلاقات الواهية بين البلغاريين والأقلية التركية التي تعيش بينهم والعنف بين الأوسيمانيين والأنجوش ، والمذايغ التي لا تتوقف بين

الأذربيجانيين والأرمن والعلاقات المتوترةة بين الروس والمسلمين في وسط آسيا ونشر القوات الروسية لحماية المصالح الروسية في القوقاز ووسط آسيا . إن الدين يقوى إحياء الهويات العرقية ويعيد تحريك مخاوف الروس فيما يتعلق بأمن حدودهم الجنوبية ، وهذه المخاوف يعبر عنها آرشي روزفلت تعبيراً جيداً في قوله : « إن الكثير من التاريخ الروسي يتعلق بالنزاع بين الشعوب السلافية والتركية على حدودهم ، الذي يرجع إلى تأسيس الدولة الروسية لأكثر من ألف عام خلت ، ولا يمكن المدخل لفهم التاريخ الروسي فحسب في مواجهة السلاف ذات الألف عام مع جيرانهم الشرقيين ، بل أيضاً فهم الشخصية الروسية ، ولكن نفهم الحقائق الروسية اليوم ، على المرء أن يكون لديه مفهوم عن الجماعة التركية العرقية الضخمة التي شغلت الروس على مدى القرون .

إن صراع الحضارات متتجذر إلى حد بعيد في أماكن أخرى من آسيا . ويعبر الصدام التاريخي في شبه القارة الهندية بين المسلمين والهندوس عن نفسه ليس في التناقض بين باكستان والهند فحسب ، بل أيضاً في النزاع الديني المتفاقم داخل الهند بين الجماعات الهندوسية التي تزداد تزعيتها إلى الاقتتال والأقلية المسلمة الكبيرة ، وقد فجر تدمير مسجد أيوودها في ديسمبر ١٩٩٢م قضية إذا ما كانت الهند ستظل دولة ديمقراطية علمانية أم ستصبح دولة هندوسية وأتى بها إلى موضع الصدارة . وفي شرق آسيا للصين نزاعات معلقة على الأراضي مع أغلب جيرانها وقد

اتبعت الصين سياسة لا هواة فيها تجاه الشعب البوذى فى التبت وهى تتبع سياسة متزايدة البطش تجاه الأقلية التركية المسلمة . مع انتهاء الحرب الباردة أعادت الخلافات الأصلية بين الصين والولايات المتحدة تأكيد نفسها فى مناطق مثل حقوق الإنسان والتجارة وانتشار الأسلحة ومن غير المتوقع أن تخف حدة هذه الخلافات . وقد نقل عن دينج زياو بعث أنه أكد فى عام ١٩٩١ أن « حررا باردة جديدة » بسببهما إلى التصوب بين الصين والولايات المتحدة .

وقد استخدمت العبارة نفسها بالنظر إلى العلاقات المتزايدة الصعوبة بين اليابان والولايات المتحدة . هنا تشير الخلافات الثقافية صراغا اقتصاديا . والناس فى كل جانب تتهم الجانب الآخر بالعنصرية ولكن على الأقل فى الجانب الأمريكى فإن النفور ليس عنصريا ولكنه ثقافى إذ لا يمكن أن تكون القيم الأساسية والاتجاهات والأغراض السلوكية للمجتمعين أكثر تباينا . فالقضايا الاقتصادية بين الولايات المتحدة وأوروبا لا تقل أهمية عن تلك القائمة بين الولايات المتحدة واليابان ، ومع ذلك فليس لها البروز السياسى نفسه والحدة العاطفية ؛ لأن الاختلافات بين الثقافة الأمريكية والثقافة الأوروبية أقل بكثير من تلك التى بين الحضارة الأمريكية والحضارة اليابانية .

الاحتضاد الحضاري: أعراض بلد القرابة

إن الجماعات أو الدولة المنتمية إلى حضارة واحدة والتي تصبح مشتبكة في حرب مع أناس من حضارة مختلفة . تحاول بطبيعة الحال أن تحشد الدعم من الأعضاء الآخرين في حضارتها ، وبينما يتشكل عالم ما بعد الحرب الباردة فإن العمومية الحضارية أو ما يسميه هـ . دـ . سـ . جريجورياتي «أعراض بلد القرابة» يحل محل اعتبارات الأيديولوجيا السياسية والتوازن التقليدي للفوقي بصفته الأساس الرئيسي للتعاون والتحالفات . ويمكن رؤية هذه الأعراض تظاهر تدريجيا في صراعات ما بعد الحرب الباردة في القوقاز والبوسنة وغيرها من المناطق ، فلم يكن أى من تلك الصراعات حربا شاملة بين الحضارات ، إلا أن كل منها انطوى على بعض عناصر الاحتضاد الحضاري الذي بدا أنه يصير أكثر أهمية مع استمرار الصراع وهو ما قد يوفر فكرة مسبقة لما سيقع في المستقبل .

إن أعراض بلد القرابة ظهرت في صراعات ما كان في السابق الاتحاد السوفيتي وفي يوغوسلافيا السابقة وقد أظهرت الجماهير الغربية تعاطفا ودعمها لسلمى البوسنة والأهوال التي عانوها على أيدي الصرب . إلا أن الهجمات الكرواتية على المسلمين ومشاركة الكروات في تزويق البوسنة والهرسك لم يحظ إلا بالتعبير عن قليل

من القلق النسبي . وفي المراحل الأولى لتفكيك يوغوسلافيا ، قامت ألمانيا في استعراض غير عادي للمبادرة الدبلوماسية والعضلات بإقناع الأحد عشر عصوا الآخرين في الجماعة الأوروبية بحذوها في الاعتراف بسلوفينيا وكرواتيا . ونتيجة لتصميم البابا على توفير الدعم القوى للبلدين الكاثوليكين ، قدم القاتيكان اعترافه بالبلدين حتى قبل أن تفعل ذلك الجماعة الأوروبية وسارت الولايات المتحدة في أثر أوروبا . وهكذا فإن المثليين البارزين في الحضارة الغربية احتشدوا خلف بنى دينهم . فيما بعد رأى أن كرواتيا كانت تتلقى كميات كبيرة من الأسلحة من أوروبا الوسطى والبلدان الغربية الأخرى . ومن ناحية أخرى حاولت حكومة بوريس يلتسين أن تتبع نهجاً معتدلاً يميل إلى الصرب الأرثوذكسيين ولكنه لا يقصى روسيا عن الغرب ، إلا أن الجماعات الروسية القومية والمحافظة بما فيهم بعض أعضاء البرلمان هاجموا الحكومة ؛ لأنها لم تكن أكثر استعداداً للدعم الصرب . وفي مطلع ١٩٩٣ م كان من الواضح أن عدة مئات من الروس يقاتلون إلى جانب القوات الصربية وانتشرت الروايات عن الأسلحة الروسية التي تزود بها صربيا .

من ناحية أخرى فإن الشعوب والحكومات الإسلامية انتقدت الغرب بشدة لتقاعسه في الدفاع عن البوسنيين ، وحيث الرعما المسلمين على تقديم المساعدة للبوسنة في مخالفة حظر تصدير

الأسلحة الذي فرضته الأمم المتحدة كما زودت بعض الدول البوسنية بالأسلحة والرجال . وفي عام ١٩٩٣ م يرى أن ما يصل عددهم إلى أربعة آلاف مسلم من عدة بلدان إسلامية كانوا يقاتلون في البوسنة . وبحلول نهاية عام ١٩٩٢ م يرى أن السعودية كانت قد قدمت غوايلاً ودعماً كبيراً للبوسنة مما زاد من قدرتها العسكرية في مواجهة الصرب .

وبينما أثارت الحرب الأهلية الأسبانية في الثلاثينيات تدخلًا من بلدان كانت من الناحية السياسية فاشية وشيوعية وديموقراطية فإن الصراع اليوغوسلافي في التسعينيات أثار تدخلاً من بلدان أرثوذكسية وإسلامية ومسيحية غربية ولم يمر ذلك التطابق دون ملاحظة إذ علق محرر سعودي قائلاً : « لقد أصبحت الحرب في البوسنة والهرسك هي المعادل العاطفى للقتال ضد الفاشية في الحرب الأهلية الأسبانية ، فأولئك الذين ماتوا هناك يعتبرون شهداء حاولوا أن ينقذوا إخوانهم المسلمين » .

وسوف يقع الصراع والعنف أيضاً بين الدول والجماعات داخل الحضارة الواحدة . إلا أن تلك الصراعات على الأرجح ستكون أقل شدة كما أن احتمال اتساعها سيكون أقل من تلك الصراعات التي تتشعب بين الحضارات حيث أن العضوية المشتركة في الحضارة نفسها من شأنها أن تقلل احتمال حدوث العنف في مواقف قد يتتشعب فيها في أحوال أخرى .

لقد ظل الاحتشاد الحضاري حتى تاريخه محدودا ، ولكن في تزايد ومن الواضح أن لديه القوة لكي ينتشر إلى أبعد من ذلك . واز تواصل حلقات الصراع في القوقاز والبلقان والبوسنة ، كانت مواقف الشعوب والخلافات بينها تحدث على نحو متزايد على طول الخطوط الحضارية . وقد وجد الساسة والرّعّاماء الدينيون ووسائل الإعلام فيها وسيلة قوية لإثارة المساندة الجماهيرية والضغط على الحكومات المترددة . وفي السنوات القادمة فإن الخلافات المحلية التي يرجع لها أن تصعد إلى حروب كبرى ، هي تلك التي تقع على طول خطوط الخلل بين الحضارات كما هو الحال في البوسنة والقوقاز .

الملاييسات بالنسبة للغرب

إن هذه المقالة لا تزعم أن الهويات الحضارية سوف تحمل محل كل الهويات الأخرى ، وأن الدول القومية سوف تختفي ، وأن كل حضارة سوف تصبح كياناً سياسياً واحداً متماسكاً ، وأن الجماعات في نطاق حضارة مالن يتصارعوا ولا حتى يحارب بعضهم بعضاً ، بيد إن هذه الورقة تطرح الفرضية القائلة بأن الخلافات بين الحضارات هي خلافات حقيقة ومهمة . إن الوعى بالتفاوت الحضارى فى تزايد ، وسوف يحل الصراع بين الحضارات محل الصراع الأيديولوجي والأشكال الأخرى للصراع باعتباره الشكل العالمي السائد للصراع . والعلاقات الدولية التى كانت لعبة تنتهي داخل حدود الحضارة الغربية : سوف يتزايد نوع الصفة الغربية عنها وتصبح فيها الحضارات غير الغربية أعضاء فاعلين وليسوا مجرد أهداف . أما المؤسسات الدولية السياسية والأمنية والاقتصادية الناجحة فسوف يزداد نشوؤها على الأرجح داخل الحضارات وليس عبرها . وستكون الصراعات بين الجماعات ذات الحضارات المختلفة أكثر تكراراً وأكثر استمراً وأكثر عنفاً من الصراعات التى تتشبَّه بين جماعات داخل نفس الحضارة ، والصراعات العنيفة بين الجماعات المنتسبة إلى

الحضارات المختلفة هي أكثر المصادر احتمالاً وخطورة للتصعيد الذي يمكن أن يؤدي إلى حروب عالمية ، وسيكون المخور الرئيسي للسياسة الدولية هو العلاقات بين « الغرب وباقى العالم » فثبات النخبة في بعض البلدان غير الغربية المهزقة سوف يحاولون أن يجعلوا بلدانهم جزءاً من الغرب ، ولكنهم في أغلب الحالات سيواجهون عقبات كبيرة في تحقيق ذلك . والبؤرة المركزية للصراع في المستقبل القريب سوف تكون بين الغرب والدول الإسلامية والآسيوية العديدة .

إن ذلك ليس دفاعاً عن استحباب الصراع بين الحضارات ، ولكنه يرمي إلى طرح فرضيات وصفية لما يحصل أن يكون عليه المستقبل . وإذا كانت تلك الفرضيات معقولة في ظاهرها ، فمن الضروري أن ننظر بعين الاعتبار إلى ملابساتها بالنسبة للسياسة الغربية ويجب أن تقسم تلك الملابسات بين الفائدة على المدى القصير والاحتواء على المدى الطويل . وعلى المدى القصير من الواضح أنه من مصلحة الغرب أن يعزز تعاوناً أكبر وتوحيداً في نطاق حضارته ، وعلى وجه الخصوص بين مكونيها الأوروبي والأمريكي الشمالي ، وأن يدمج مجتمعات شرق أوروبا وأمريكا اللاتينية في الغرب ، وهي مجتمعات ذات ثقافة قرية من ثقافة الغرب . وأن يعزز علاقات التعاون مع روسيا واليابان ويحافظ عليها ، وأن يحول دون تصعيد الصراعات المحلية بين الحضارات إلى حروب كبرى

بين الحضارات ، وأن يحد من توسيع القوة العسكرية للدول الآسيوية والإسلامية ، وأن يخفف من تقلص القدرات العسكرية الغربية ويحافظ على التفوق العسكري في شرق وجنوب غرب آسيا ، وأن يستغل الخلافات والصراعات الغربية في الحضارات الأخرى ، وأن يقوى المؤسسات الدولية التي تعكس وتوسيع المصالح والقيم الغربية وتضفي عليها الشرعية ، وأن يروج لاشتراك الدول غير الغربية في هذه المؤسسات .

أما على المدى الأطول فيكون اتخاذ إجراءات أخرى أمناً مطلوبها . فالحضارة الغربية هي حضارة غربية وحديثة معاً ، وقد حاولت الحضارات غير الغربية أن تكون حديثة دون أن تصيب غربيّة ، وحتى يومنا هذا لم ينجح في هذا المسعى إلا اليابان . وسوف تواصل الحضارات غير الغربية محاولاتها للحصول على الشروء والتكنولوجيا والمهارات والمهارات والأسلحة التي تمثل جزءاً من كون الحضارة حديثة ، كذلك ستحاول تلك الحضارات أن توازن هذه الحداثة مع ثقافتها وقيمتها التقليدية ، أما قوتها الاقتصادية والعسكرية فسوف تزيد بالقياس للغرب . ومن ثم يتوجب على الغرب على نحو متزايد أن يحتوى تلك الحضارات الحديثة غير الغربية التي تقترب قوتها من قوة الغرب ، ولكن فيمها ومصالحها تختلف إلى حد كبير عن قيم ومصالح الغرب ، وسوف يستلزم ذلك من الغرب أن يحافظ بالقوة الاقتصادية والعسكرية اللازمة لحماية مصالحه فيما يتعلق بهذه

الحضارات ، كما أنها سوف تستلزم أيضا من الغرب أن ينمي تفهما أكثر عمقاً للمقولات الأساسية الدينية والفلسفية التي تقوم عليها الحضارات الأخرى والطرق التي ينظر بها الناس في تلك الحضارات إلى مصالحهم ، وكنلنك سوف يستلزم بذلك الجهد لتحديد عناصر السمات المشتركة بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى .

في المستقبل الوثيق الصلة بالقضية لن يكون ثمة حضارة عالمية ، ولكن بدلاً من ذلك عالم من الحضارات المختلفة ، وسيكون عليها أن تتعايش مع الحضارات معاً .

صدر من سلسلة (في التأثير الإسلامي)

- ١ - الصحوة الإسلامية في عيون غربية .

٢ - الغرب والاسلام .

٣ - ابو حيان التوحيدى .

٤ - دراسة قرآنية في فقه التجدد الحضاري .

٥ - ابن رشد بين الغرب والاسلام .

٦ - الاتساع الشاققي .

٧ - تصوير العالم .

٨ - التععددية الرؤوية الإسلامية والتحديات .

٩ - صراع القيم بين الغرب والإسلام .

١٠ - د. يوسف القرضاوى : المدرسة الفكرية .

والمشروع الفكري .

١١ - تأملات في التفسير الحضاري للقرآن الكريم .

١٢ - عندما دخلت مصر في دين الله .

١٣ - الحركات الإسلامية رؤية نقدية .

١٤ - المنهاج العقلاني .

١٥ - التمدد الشاققي .

١٦ - منهجة التغيير بين النظرية والتطبيق .

١٧ - تجديد الدينما يتجدد الدين .

١٨ - الثواب واللثغيات في البقعة الإسلامية الحديثة .

١٩ - نقض كتاب الاسلام وأصول الحكم .

٢٠ - التقدم والاصلاح بالتأثير الغربي .

٢١ - فكر حرفة الاستئثار . . وتنافصاته .

٢٢ - حرية التعبير في الغرب من سلمان رشدي إلى روجيه جارودى .

٢٣ - أسلامية الصراع حول القدس وفلسطين .

٢٤ - الحضارات العالمية تدافع؟ .. أم صراع ،

سیکلر قریباً اُن شاء الله

- ٢٥ - التنمية الاجتماعية بالغرب . . أم بالاسلام
 ٢٦ - الحملة الفرنسية في الميزان .
 ٢٧ - الإسلام في عيون عربية . . دراسات سويسرية

الفهرس

- ٢ الرؤية الإسلامية : الرؤية الغربية :
- ٢٢ مقال هاتنجهون « صدام الحضارات » :
- ٢٣ ● النمط القادم للصراع
- ٢٥ ● طبيعة الحضارات
- ٢٧ ● لماذا ستتصادم الحضارات ؟
- ٣٤ ● خطوط الخلل بين الحضارات
- ٣٩ ● الاحتشاد الحضاري : أعراض بلد القرابة
- ٤٣ ● الملابسات بالنسبة للغرب



إلى القارئ العزيز ..
في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيمه قطبيعة مع التراث ..
فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويراً إسلامياً متميزاً .
ولتقديم هذا التنوير الإسلامي للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر:

- د. محمد عمارة ● المستشار طارق البشري
- د. حسن الشافعى ● د. محمد سليم العوا
- ا. فهيم هويدي ● د. جمال الدين عطية
- د. سيد دسوقي ● د. كمال الدين إمام
- د. عبد الوهاب المسيري ● د. شريف عبد العظيم
- د. عادل حسين ● د. صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين المسلمين ..
إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر